بها أبصارهم ، وتهوى إليها فوافلهم فى مواسم الحج ، وزاد من تعلق العرب وارتباطهم الروحى بها ماكانوا يرونه من تغلغل اليهودية والمسيحية فى بعض المناطق من حربرتهم ، وهو تغلغل كان يثير فى نفوسهم شيئا من الريبة، لأنه يأتى من قبل عناصر أجنبية غريبة عليهم ، فاربطت هاتان الديانتان فى أذهانهم بأفكار سياسية ، وكأنهم استشعروا ورا ،هما محاولات للتغلغل السياسى ومد النفوذ الأجنبى إلى بلادهم : من الشرق حيث النفوذ الفارسى ، ومن الشمال حيت النفوذ البيزنطى ، ومن الجنوب حيت النفوذ الحبشى ، ومن هنا كان فزعهم إلى المنطقة الغربية التى طلت بمنأى عن النفوذ الأجنبى حيت مكة حامية الوثنية العربية ، وزاد من ارتفاع هذه المكانة التى كانت لمكة فى نفوس العرب ماكان من عجز الحملة الحبشية التى قادها أبرهة عن دخولها فيما بين سنتى ٥٧٠ ، ٥٧١ فى العام الذى عرف بين العرب بعام الفيل ، فمنذ هذا التاريخ ارتفع شأن مكة ، وزادت قداستها فى نفوس العرب، وأصبحت المدينة الأولى فى جزيرتهم التى تتركز فى أبدنها لا مقاليد الدين فحسب وإنما مقاليد الدين والسياسة جميعاً ، بل اصبحت الرمز الخالد لحرية الجزيرة واستقلالها السياسى ، والأمل الحى المتجدد فى قدرتها على الوقوف فى وجه أعدائها المتربصين بها من كل جانب .

وإلى جانب هذا الدور القيادى الذى قامت به مكة على الصعيدين الدينى والسياسى قامت بدور آخر فى المجال الاقتصادى ، لقد كانت بلاد العرب منذ أقدم عصورها التاريخية مسرحاً لحركة تجارية نشطة جعلت بعض المستشرقين يعدون العرب « حملة العالم القديم بين الشرق والغرب ». وكانت التجارةفى أول الأمر فى أبدى اليمنيين أصحاب الحضارة العريقة الموغلة فى القدم ، ثم أخذت أزمتها - مع بداية الضعف الذى أخذ يدب فى مملكة حمير منذ القرن الخامس الميلادى - تتحول إلى أيدى الشماليين من أهل مكة .